

عربستان

قطر عربي أصيل

موقع عربستان - الجزء الرابع

أما الرحالة (الإيطالي) بياتر الذي زار حوض كارون سنة 1625م فقد ذكر أن الشيخ منصور كان مسيطراً على حوض كلرون الى مصبه في شط العرب . و كان يقاوم بقوة محاولة الشاه عباس الأول للتدخل في شؤون إمارته الداخلية . و كان على إتصال دائم مع حاكم البصرة . و كان الشيخ منصور قد رفض عرض الشاه عباس بإنضمامه الى قواته المحاصرة لبغداد عام 1623م . كما رفض مقابلته في تلك السنة في أصبهان . و كتب الى عباس الأول يعلن نفسه ملكاً على القبائل العربية . و هكذا يظهر للجميع أن هذا القطر عربي في منطلق التاريخ. و حتى في رأي الباحثين الأجانب فيما كتبوه عن هذه المنطقة.

و في أثناء حكم الموالي (المشعشعين) في الحويزة أسس بنو كعب - البو ناصر - إمارتهم في الجهة الشرقية من شط العرب . في مدينة الغبان سنة 1120 هـ - 1690 م ، و قد قاتلوا سنة 1146 هـ - 1733م الفاجاريين الفرس تحت زعامة شيخهم فرج الله بن عبدالله و إنتصروا عليهم . كما حاربوا في السنة نفسها الى جانب البصريين في قتالهم مع قبيلة المنتفق.

و في عهد الشيخ سلمان بن سلطان 1160هـ - 1747م زحف بنو كعب على مدينة الدورق و طردوا جموع الأفتشار منها و حرروها من نفوذهم و إتخذوها مركز حكمهم . و قد أبدلوا اسمها الى فلاحية تيمناً بالنصر و الفلاح في طرد الأجانب . و في ايام الشيخ (سلمان) قارع الحكومات الإيرانية و العثمانية و الإنجليزية دفاعاً عن إستقلال إماراته و تذبذب بين هذه الدول ولم يدفع لأي منها أية ضرائب . و أسس أسطولاً حربياً أذهب الدول الكبرى يومها. فبلغت سفنه الكبيرة عشرين و الصغيرة سبعين . و يؤكد (بترو) الذي زار المنطقة سنة 1772 م أن العرب هم الذين يمتلكون جميع السواحل البحرية للقسم الشرقي من الخليج . كما أن السائح (نيبور) يذكر أنه عندما زار عربستان وجدها مستقلة عن بلاد فارس و أن لأهلها لسان العرب و عاداتهم . و هم يتعشقون الحرية الى درجة قصوى شأن أخوانهم في البادية . و قد أثنى على عصر الشيخ سلمان وعده من العصور الذهبية.

أما السائح الإنجليزي (أستوكلر) فإنه ذكر ما كان لدى بني كعب من قوة عسكرية أعدت لصد هجمات الدول الطامعة في قطرهم. و قد شاهد بنفسه المدافع كانت منصوبة في ميدان مدينة الفلاحية. و أن عدد الجيش العربي بلغ تعداده في وقته خمسة عشر ألفاً من المشاة . و سبعة آلاف فارس. و أيد المؤرخ الفارسي (كسروي) ما ذهب اليه السائح الإنجليزي بقوله : أن ذلك الإستعداد العسكري كان معداً لتدمير القوات الفاجارية عند ظهور أي بوادر إيرانية للسيطرة على عربستان. و كذلك للحد من أطماعها في هذا القطر. و قد نجحت فعلاً في ذلك الى أبعد الحدود . إذ شلت حركة الدولة الفاجارية التوسعية في عربستان.

و كان منتصف القرن الثامن عشر بداية ظهور بني كعب على مسرح السياسة في الشرق الأوسط. و قد كانوا على إتصال ودي مستمر مع البصرة دام مائة و أربعين سنة. و مدوا يد العون و المساعدة الى البصريين تحت اسم حسن الجوار ليخلصوهم من الحكم العثماني.

و مما يذكره (بيريبي) عن هذه الفترة : أن نشاط بني كعب قد تضاعف الى درجة أصبح معهم السفر بحراً على سبيل التجارة عملاً يقود الى الكوارث . لأن قبيلة كعب قد تمركزت شمالي الخليج العربي و فرضت سيطرتها على منطقة شط العرب . و قد عجز شاه ايران من القضاء عليها . كما عجز الإنجليز عن ذلك ايضا فإستنجدوا بالدولة العثمانية التي لم تثمر جهودها معهم . و بقوا أسياد القسم الشمالي من الخليج العربي ردىاً من الزمن.

و في أيام الشيخ غيث بن غضبان سنة 1821 م و عندما وقعت الدولتان الإيرانية و العثمانية معاهدة أرضروم الأولى في السنة نفسها و التي قسم القطر بموجبها الى مناطق نفوذ إيرانية في الشمال ، و عثمانية في الجنوب . طلب الشيخ (غيث) مساعدة أمام مسقط و عمان في الدفاع عن إستقلال إمارته . و قد أرسل له الإمام أسطوله لمعاضدته في الدفاع عن حرية عربستان و وحدتها. و لم يعترف هذا الشيخ ببندو المعاهدة و وقف بكل حزم ضدها. كما أن أياً من الدولتين لم تكن لتجرأ على تنفيذ بنود المعاهدة و هكذا بقيت حبراً على ورق و بلا تنفيذ.

و رفع المستر (لابارد) الإنجليزي الجنسية و المرسل سنة 1841 م للبحث عن الآثار في مدينة السوس بعربستان. رفع مذكرة الى السفارة البريطانية في إستنبول ذكر فيها : إن قبائل البخاريين تنزل على بعد قليل من إقليم عربستان في جنوبي العراق و أن المحمرة و عشائر كعب في عربستان تؤلف إمتداداً للعراق لا من الوضع الجغرافي فقط بل كذلك من حيث عروبة الإقليم. فإن أهل عربستان هم عرب خلص بل أن عشائر كعب معروفة النسب و مشهورة بين عشائر العرب بنقاء دمها العربي .

لقد تعرضت مناطق المشرق العربي - بما فيها عربستان - للسيطرة العثمانية منذ القرن السادس عشر و قد نازعتها على السيادة الدولة الفارسية . كما أن الزحف الأوربي كان يستهدف المنطقة فأثر ذلك تأثيراً عاماً عليها. و قد شهد القرن التاسع عشر بوادر نهضة أدت الى ظهور فكرة القومية العربية التي إصطدمت بفكرتين :

الأولى : فكرة الجامعة الإسلامية التي عدت الأحواز جزءاً من الإمبراطورية العثمانية .

الثانية : فكرة القومية الإيرانية التي تغلبت على الأولى فقضت على الحكم العربي في عربستان.

إن التنازع العثماني - الإيراني على المنطقة يمثل التصادم بين الفكرتين . و كان التيار الثاني أقوى من الأول ، إذ كان الموقف العثماني رخواً في المباحثات عام 1847م في أرضروم . بينما كان الموقف الفارسي صلباً . و بالرغم من تصديق تلك المعاهدة التي تنازلت فيها الدولة العثمانية عن عربستان الى ايران و أيدها السفيران الروسي و البريطاني . إلا أن الإمارة بقيت عربية لا تقر بشيء مما وقع . و أعلن الشعب العربي ثورته ضدها أيام الحاج جابر الكعبي دامت عشر سنوات حتى أرغم شاه ايران سنة 1857م أن يذعن لإرادته و يعلن إعترافه بإستقلال عربستان ، و بات حكمها

للحاج جابر بن مرداو و لأبنائه من بعده . و بقيت المحمرة و كل عربستان إمارة مستقلة من سنة 1847م و حتى 1925م حيث إحتلتها ايران عسكرياً .

و تعرضت الأحواز في القرن الماضي لموجات من المد و الجزر بين كل من الفرس و العثمانيين . تماماً كما حصل في العراق أثناء تلك الفترة . و قد رفضت الإمارة العربية تدخل ممثلي الدولتين في شؤونها الداخلية . و قد دانوا بعض الوقت بالوقت بالولاء الرمزي لفارس حتمته الإعتبارات السياسية . و كان ولاؤهم الديني يحتم عليهم أن يكونوا على صلوات طيبة مع النجف . مركز العالم الشيعي ، التي كانت جزءاً من الدولة العثمانية . و على ذلك الأساس تأرجحوا في الولاء بين الدولتين.

و كما رفض أمراء عربستان الولاء التام لأي من الدولتين : الإيرانية و العثمانية . رفضوا ايضاً - و بكل عنف - المطامع الأوربية . فقد عارض أمير المحمرة الشيخ مزعل الكعبي مشروع الملاحة في كارون . كما أنه رفض ربط المحمرة بظهران بسكك حديدية . أو طرق معبدة ، إذ رأى في ذلك تهديداً لنفوذه في عربستان و بسط سيطرة الشاه على المحمرة . و قد قوت في عهده الحركة الإستقلالية و نتيجة لمواقفه المتصلبة تجاه الأطماع الإنجليزية دبرت بريطانيا محاولة لإغتياله و التخلّص منه . فأغرت أخاه الشيخ خزعل الذي دبر إغتياله سنة 1898م.

و عندما آل حكم المحمرة و عربستان الى الشيخ خزعل الكعبي جمع الإقليم كله تحت حكمه ، و أقام صلوات طيبة مع الدولة العثمانية ، و ساعدها على حفظ الأمن في البصرة - كما أن أمواله كانت تغلب دوراً خطيراً و هاماً في سياسة ايران إذ توصل من يريده الشيخ الى حكم ايران . تماماً كما حصل مع البختياريين الذين أوصلتهم أموال الشيخ الى أبواب ظهران على حد تعبير جريدة (شمس) التي كان يصدرها أحرار ايران في الأستانة . و عقد عدة معاهدات مع الحكومة البريطانية بعد أن كان قد عارضها في مشاريعها الرامية الى استقلال نهري كارون و الكرخة في الملاحة . غير أنه تراجع عن موقفه بعد أن أعلمته بريطانيا بأنها تؤيد نظامه القائم في المحمرة . و أنها تسعى الى حمايته و تعضيده ضد الأطماع الفارسية.

و في أثناء الحرب العالمية الأولى وضع أمير المحمرة نفسه في خدمة المصالح البريطانية . كما وضع مئات من أفراد جيشه العربي في خدمتها . و قد تجسس لمصالحها على الأتراك و جمع المعلومات عن تحركاتهم كما ذكر ذلك السير أرنولد ولسن.

و أقام علاقات قوية طيبة مع أمراء الخليج العربي . و ساعدهم على حل مشاكلهم . و قد عده أمراء الخليج وقتها معتمدتهم لأنه أكبرهم سناً . و رشح نفسه عن عرش العراق غير أن بريطانيا لم تكن راغبة به رغم خدماته الجليلة لها لأنها رأت في رضا خان ضمانة أكبر من الشيخ خزعل . و قد عضدت أمر ترشيح فيصل بن الحسين لعرش العراق و دعمته بعد أن طرد من سورية .

و بعد الإنقلاب الإيراني عام 1921م و وصول رضا خان الى السلطة برزت أطماعه بأبشع صورها في عربستان و قد ذكرها صراحة في مذكراته . و سعى الى إثارة الشغب في عربستان و قد وجد لأعماله ضد أمير المحمرة هوى في نفوس بعض القبائل كبنى طرف لحقدهم الشديد على الشيخ خزعل الذي أربهم ببطشه و أخافهم.

و نتيجة لمساعي الشعب البهلوية و للمنشور الذي أسقطته الطائرات الإيرانية على عربستان الذي يطلب فيه رضا خان من القبائل إعلان الثورة و التمرد على النظام في المحمرة تمرد بنو طرف على الحكم العربي و هجموا على قصر الشيخ خزعل في الحميدية و أحرقوه.

2005 – 3 – 29

وزارة الإعلام - دائرة شؤون الخليج العربي
سلسلة "إعرف وطنك" - 4
دار الحرية للطباعة
مطابع الجمهورية - بغداد
1972م